صلاة • السنة

لفضيلة الشيخ الدكتور :

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

[شريط مفرغ]

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمِينْ ؛ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينْ ، وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِلهُ الأَوَلِينَ وَالآخِرِينْ ، وَقَيُّومِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِينْ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَصَفْوَتُه مِنْ خَلْقِهِ ، وخَلِيلِهُ ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلهِ وأَصْحَابِه وأَتْبَاعِه بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينْ .

أَمَّا بَعْدُ :

فإنَّه لمن دواعِ السُّرور والغِبطة أنْ نلتقي بإخوةٍ في الله أحببناهم في الله وأحبونا لله ، واجتمعت القُلوب علىٰ ذٰلك ونسأل الله جلَّ وعَلا الأُلفة علىٰ ذٰلك ، فإنَّه ما مِن موضوعٍ يدور في الذِّهن إلَّا وأظنُ مع إخواني هٰؤلاء قد تطرقنا له ، إمَّا اِستقلالاً ، وإمَّا عرضاً في مجالسنا ، وفي لقاءاتنا ، وفي كلماتنا ، وفي دروسنا ونحو ذٰلك .

ولٰكن الجديد دائماً تتطلَّع الأنفس وتتشوَّق إليه ، ونفسي تتوق إلىٰ القديم دائماً ؛

لأنَّ القديم هُو : العتيق .

وكُلَّما عتق كُلَّما زاد نُدْرةً ، وكلما زاد نُدْرةً كُلَّما ازداد الطَّلب عليه .

ألا إنَّ ذٰلك الأمر هُو : أمر الصَّلابة في السُّنَّة النَّبويَّة ، والطَّريقة السَّلفيَّة الَّتي كلنا – ولله الحمد – يسير عليها ، ويدعو إليها ، وينافح مِن أجلها ، ويُعادِي لها ويُوالِي لأجلها .

إنَّ مسألة التَّمسُّك بالسُّنَّة مسألةٌ عظيمة ، والظَّفَر بها وبأهلها مطلبٌ عزيز ، وغايةٌ تسمو إليها الأنفس ، وتَشْرئِبُّ إليها الأعناق .

وقد أمر بها عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام في أوَّل حياته ، وفي آخر حياته ، فكانت آخر وصاياه أو من آخر وصاياه الَّتي ما فَتِئَ يوصي بها دائماً وأبداً ، ويستفتح بها الكلام دائماً وأبداً ، فَكُلُّكم يعرف حديث العِرباض رَضِيَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ؛ الَّذي وعظ فيه رسول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم تلكم الموعظة البليغة ؛ فكان من سؤال الصَّحابة ما تعرفون ، فجاءت الوَصيَّة النَّبويَّة الجامعة المانعة الَّتي لا نزال نردِّدها ونسأل الله جلَّ وعَلا أنْ يجعل ألسنتنا رطبةً بها إلىٰ أن نفارق الدُّنيا ؛ فنلقاه عليها كما لقيه رسولهُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأصحابه رِضْوَان اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِم أَجْمَعِينَ مِنْ بعده عليها .

ذٰلك أنَّ الله جَلَّ وعَلا قد أمر بمعناها في كتابه جَلَّ وعَزَّ في مواضع :

- إمَّا أمراً صريحاً .
- وإمَّا إخباراً عن حال من تَنكَّب هٰذه الطَّريق .
- وإمَّا إخباراً عن حكمته في إيجاد الخلق سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ .

فقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام : « عَلَيْكُم بِسُنَّتِي » (1) .

وقوله : " عَلَيْكُم " ليس أمراً فقط ، وإنَّما هو أمرٌ وفيه تحضيضٌ وتحريض .

" عليكم بسنتي "، أمرٌ فيه حضّ ، وفيه تحريض ، وهو متضمنٌ معنىٰ التَّعهُّد لهٰذه السُّنَّة دائماً وأبداً .

لأنَّ الإنسان يعتريه الغفلة ؛ ويعتريه النِّسيان ، وتعتريه المشاغل ، ويعتريه الضَّعف ، فهٰذه أربع عوامل تكاد تُنسيه أحياناً عن سُنَّة رسول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ؛ الغفلة ، والنِّسيان ، والشَّواغل ، والضَّعف أحياناً .

وكلِّها مُردِيةٌ مُهلكة !

وأشدُّها إهلاكاً لصاحبه الضَّعف في الأخذ بِسُنَّة رسول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

فإنَّ الأخذ لِلإسلام بقوَّة ، ونعني بالقوَّة : التَّمسُّك به ، لا الغُلُوّ !

هٰذا مطلبٌ نفيس ، بل هو أمر الله للأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلاةَ وَالسَّلام ،

كما قالَ جلَّ وعَلا : ﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : 12] .

فهٰذا معنىٰ الأخذ بقوة ، التَّمسُّك بهٰذه الشَّريعة الَّتي ينزلها الله سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ علىٰ عباده ، وحسن التَّعاهد والمداومة عليها .

ولا شكَّ أنَّنا دائماً وأبداً نحتاج إلىٰ التَّوصية بهٰذا ؛ لِمَ ؟ لعروض هٰذه العوامل الأربعة ؛ أو بعضها دائماً في حياتنا ، لا تخلو لحظةٍ من لحظات حياتنا منها أو من بعضها ؛

الغفلة والنِّسيان والشَّواغل والضَّعف عن الأخذ بالسُّنَّة النَّبويّة .

* فينبغي التَّذكير حين الشَّغْلَة .

* والتَّذكير حين الغَفْلَة .

* والتَّذكير حين النِّسيان .

* والتَّذكير حين الضَّعف .

~ فحين الضَّعف يبعثُ التَّذكير في المرء القُوَّة .

~ وحين النِّسيان يبعثُ التَّذَكُّر .

~ وحين الإنشغال يبعثُ التَّذكرة ، فَيُقبل القلب ويدع الشَّواغل ، وينقطع عنها .

~ وحين عروض الغفلة تحصلُ الإنتباه لمن كان قد غفل إذا ذُكِّر .

والسُّنَّة النَّبويَّة كلٌّ يَدَّعي الأخذ بها حَتَّىٰ الطَّوائف الضَّالة ؛ ولكن لا كلام لنا مع الطَّوائف الضَّالة ؛ لأنَّ الأمر معهم مفروغٌ منه من قديم !!

ولكن الَّذي يُهمُّنا ونحرص عليه هو بيننا نحن معاشر أهل السُّنَّة والجماعة .

من انتسب إلىٰ ماكان عليه سلف الأُمَّة ؛ صحابة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

ومن كان معهم .

فقد كان الواحد منهم يقول لأخيه : (اجلس بنا نؤمن ساعة) ، لِمَ ؟

ليزداد إيماناً ، ولّا هو مؤمنٌ – ولله الحمد – ، ولٰكن ليزدد إيماناً مع إيمانه ، ويقيناً إلىٰ يقينه وقوةً إلىٰ قوته ، وصلابةً إلىٰ صلابته ، وعلماً إلىٰ علمه .

فما كانوا يأنفون من أن يُذَكِّرَ بعضهم بعضاً ، ولا كانوا يأنفون من التِّكرار ،

بل ما كان عندهم إلَّا حديث رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يأنفون مِن تكراره ، ولا يسأمون مِن تدبره والتَّذكير به في كُلِّ وقتٍ وحين .

بل كانوا يحرصون حَتَّىٰ في أخذهم وسماعهم من بعضهم علىٰ مَن كانت فيه هٰذه الأُمور ،

أمر الصَّلابة في السُّنَّة ، كما جاء ذٰلك فيما لا يخفاكم في صحيح البخاري مِن طريق عبد الرحمٰن بْن يزيد النَّخَعِيّ رحمه الله أنَّه قالَ :

" سألنا حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فقلنا : دُلَّنا علىٰ رجلٍ أقربُ سمتاً وهدياً ودلَّاً بسمت رسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهديه حَتَّىٰ نأخذ عنه .

فقالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ مقالته الَّتي تعرفون : « ما رأيتُ أحداً . . . » (2) .

ثُمَّ ذكر هٰذه الصِّفات الَّتي سألوا عنها في هديه وسمته ودلِّه أقرب إلىٰ هدي رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمته من ابن أم عبد .

مَن هُو ؟ عبد الله بن مسعود .

ولقد والله صدق ، فلقد كان فقيهاً ، ولقد كان والله العظيم شديداً في السُّنَّة والتَّمسُّك بها ، ولقد كان والله العظيم ثاقب النَّظر نَيِّر البصيرة نافذ البصر ، في حياته رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ وأَرضَاهُ فقد كان النَّاس في عصره مع النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأنٍ وهو في شأن ، في التَّعلُّم ، والتَّفقُّه ، وأخذ القُرآن وعلومه .

ثُمَّ بعد لحوق النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرَّفيق الأعلىٰ كان أكثر الصَّحابة فقهاً وهُو أكبر العَبَادِلَة رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ وأَرضَاهُ .

وكان مقدماً في الفقه ، وهُو إمام أهل الكوفة ، وموقفه في السُّنن والأخذ بها ، والبدع والتَّحذير منها ، أشهر مِن أنْ يُذْكر ، وأوسع مِن أنْ يُحصر رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ وأَرضَاهُ .

فالحاصل الهدي والسَّمت في الإنسان مطلوبٌ دائماً وأبداً ، ولكن قد يعتريه مع ذٰلك كما قلنا أحد الشَّواغل الأربعة ؛ فيحصل عليه ما يحصل ، فالواجب علينا جميعاً أنْ نعرف هدي رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وسمته ، وصفاته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فنعمل بها في جميع أحوالنا ، شِدَّته فنشتدَّ حيثُ يشتدُّ ؛ ولينه فنلينَ حيثُ يلينُ ، مزحه ودُعابته ، فنمزح ونداعب كماكان عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم ، تَروحه وترويحه عن نفسه وعن أصحابه ، وسماعه لما يطيب في ذٰلك مِن المباح ونعمل ذٰلك ، جِدُّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم وحياته كلها دين ، في الأمور وأخذها بالمأخذ الَّذي ينبغي أنْ يكون عليه المرء العابد لربه فنأخذ بذٰلك كما كان عَلَيْهِ الصَّلاَة وَالسَّلاَم ولا نُفرِّط في هٰذا قدر أنملة علىٰ حسب الاستطاعة ، وإنَّه في كُلِّ يومٍ ، وفي كُلِّ عصرٍ وفي كُلَّ مصرٍ تزيد من البدع ، بدعٌ أخرىٰ إلىٰ ما

كان معروفاً من قبل ؛ وإنَّ من النَّاس من تنطلي عليه هٰذه البدع الحديثة وإن كانت في أصولها قديمة ؛ لٰكن تتغير في أشكالها الَّتي تطرح بها في الأعصار كل عصرٍ بما يناسبه ؛ ومن أعظم البدع الَّتي حدثت في هٰذه الآونة الأخيرة وفَرَّقت عباد الله في كثير من البلدان ؛ ودبَّ إلينا نحن هنا الأمر العظيم من جرائها وبسببها بدعة التَّحزُّب !!

وهٰذا الأمر فيه قد كثر والكلام ، والحديث فيه قد كثر وتَنوَّع ؛ ولٰكن نحتاج دائماً إلىٰ التَّذكير فيه لأنَّنا كم قد رأينا مِن الصَّرعىٰ لهٰذه البدع كلما غفل النَّاس عنها ، أو تهاونوا فيها ؛ والباب الَّذي دُخِلَ علينا منه في هٰذه المسألة هو : أنَّ هٰذه القضية يكثرُ فيها الكلام وأصبحت مشتهرة عند النَّاس ، وأصبحت معروفة عند النَّاس ،

لماذا لا تصرفون النَّاس إلىٰ العلم والتَّعلُّم ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

وهٰذه في الحقيقة من أساليب هٰؤلاء الَّذين نعرفهم ولا يخفىٰ حالهم علينا .

- فهل أنتم في الوقت هٰذا الَّذي تقولون فيه هٰذا القول تُفَقِّهون النَّاس ؟!
- تُعلِّمون النَّاس ؟!
- تُبيِّنون لهم أحكام دينهم ؟!
- تُبيِّنون لهم عقائدهم ؟!
- تُبيِّنون لهم معاملاتهم ؟! لا !!

وإن جاءوا بهٰذا فإنَّما هو من باب التَّسكيت ؛ لا غير !!

وينطلي مثل هٰذا الكلام علىٰ بعض من حسنت نيته من إخواننا ، وطابت سريرته ، ولا يعلم خبث أهل الأهواء ؛ ولا يعلم مقاصدهم ؛ والمقاصد علمها عند الله .

ولٰكن يستدلُّ عليها العارفون بأسبابها ومقدماتها ؛ فإنَّ الفتن إذا نزلت لا يعرفها كُلُّ أحد وإنَّما يعلمها العلماء –كما قالَ ذٰلك الحسن البصري – فإذا أدبرت عرفها العامَّة .

لا فضل لهم ؛ يعني في المثل العامِّي يقولون عندنا العوام " لا شكر لمن غدَّاني يوم العيد " ! يوم عيد الأضحىٰ كُلُّ النَّاس تذبح .

فإذا أدبرت الفتن عرفها العوام ، لا شكر لهم ، أن النَّاس قد عرفوها ووقع كثير منهم فيها وهم غافلون عنها .

فما يعرفونها إلَّا بعد إدبارها وربَّما بعد أن يقعوا فيها ويتندمون بعد ذٰلك علىٰ وقوعهم فيها ؛ يقولون : – والله – ما كنَّا نعرفها ، ما ظننا الأمر .

فهٰنا ميزةُ العالم علىٰ العامِّي ، وميزة طالب العِلم الَّذي نَوَّر الله بصره وبصيرته علىٰ العامِّي في هٰذا الباب .

فينظر بنور الله جلَّ وعَلا ، هٰذا أولاً ، لما منحه اللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ مِن العِلم والبصيرة والهدىٰ ، ثُمَّ أيضاً ينظر من ناحيةٍ أخرىٰ وهي قياس الأُمور علىٰ مثيلاتها ، وجمع الأنواع المشتبهة بعضها مع بعض .

فإذا كان الأمر كذٰلك فهٰذه ميزتنا نحن طلبة العِلم مع علماءنا أهل السُّنَّة

والجماعة – السَّلفيَّة – ، يجب علينا أن نكون حذرين في هٰذا الباب ،

مُلْتفِّين عليهم آخذين بما يقولون ، وقد جرَّبنا – ولله الحمد – نحن وإياكم جميعاً

يوم أن كانت الفتن مُدْلهِمَّة ؛ كيف كانت المواقف لنا جميعاً بفضل الله جلَّ وعَلا ورحمته ، ثُمَّ بفضل من ؟ بفضل أئِمَّة السُّنَّة .

لأنَّهم عرفوا الفتن عند إقبالها ، فَنجَّانا الله جلَّ وعَلا بفضله ورحمته .

ثُمَّ بفضل مَسْكِنا لغرز هٰؤلاء ، وأخذنا بركابهم والتفافنا حولهم .

لأنَّهم قد وُفِقُّوا للعِلم الصَّحيح والمنهج الصَّحيح ، فعرفوا الحقَّ وحَذَّروا مما عداه !

وعرفوا الفتن والمشتبهات ، وحَذَّروا منها قبل أن تَعُمَّ وتَطُم !

فكانت لهم علينا المِنَّة العُظمىٰ بعد رحمة الله جلَّ وعَلا بنا ، فجزاهم الله عنَّا خير الجزاء .

وإذا كان أئِمَّة أهل السُّنَّة في هٰذا الباب أصلب مِن أنْ يُضْحكَ عليهم ، فكذٰلك الواجب علينا نحن أنْ نقتفي آثارهم فلا يُضْحك علينا ؛

فهٰذا أحمد رحمه الله ، وكلكم تعرفون قصته في الكرابيسي كما خرَّجها ابن هانئ النَّيسابوري في مسائله عن أحمد ، لـمَّا ذكر له الكرابيسي قالَ :

« أخزىٰ الله الكرابيسي » . شوف أخزاهُ الله ! ومَن الكرابيسي ؟

الكرابيسي عالمٌ فقيه مُحدِّث له قدره ، يقول فيه أحمد : « أخزىٰ الله الكرابيسي » دعىٰ عليه بالخزي ؛ أعوذ بالله ! من يقول هٰذا ؟ هٰذا أحمد .

ما هو بأنا ولا أنت ، « أخزىٰ الله الكرابيسي ، لا يُجالس ولا يُجالس مَن يُجالِسه ولا يُؤخذ عنه العِلم ولا يُكتب عنه » (3) .

مسكين الكرابيسي ؛ إذا جئت تلقىٰ عنده حاجة ، يعني سهلة إذا ما قارنتها بأئِمَّة

أهل الأهواء ؛ ومع ذٰلك أحمد وقف منه هٰذا الموقف الصَّلب مع عامَّة المسلمين في عصره . يدعو عليه بالخزي " أخزىٰ الله الكرابيسي ".

ثُمَّ يقول فيه : " لا يُجالس ولا يُجالس مَن يُجالسه . . . " لما ؟

لأنَّ الَّذي يجالسه يأتي بفيروس ؛ يأتي معه بالمرض ، ينقله فيعديك !!

صح أنت ما تروح للكرابيسي ، لٰكن تلميذ الكرابيسي أنت تجالسه ؛ فيبدأ ينفث فيك فيأتيك فيروسه ! والفيروس هو : أخذه من شيخه . فتنتقل العدوىٰ إليك وحينئذٍ أحمد أخذ بماذا ؟

« لا يُورِدُ الْمُمْرِضُ عَلَىٰ الْمُصحِّ » (4) ؛ أنت صحيح ما تروح للمرضىٰ ؛

" ولا يُكتب عنه ، ولا تُكتب كتبه " بالله ؛ ماذا يكون الكرابيسي عند أهل الأهواء والبدع مِن عصره من أهل التَّجهُّم وغُلاة المعتزلة والصُّوفية وأصحاب الطَّرائق ؟!!

بل حَكَوْا عن عبد الواحد الخفاف مرَّ علىٰ عمرو بن عبيد وهو منعزل وحده ،

فقالَ له : ما لكَ تركك النَّاس ؟ فقالَ : « حَضَّ النَّاسَ ابنُ عونٍ علىٰ تركي فتركوني » .

انظر ! راح وحده أصبح عمرو بن عبيد وحده ، لماذا ؟! هو بنفسه يشهد ؛

قالَ " حضَّ النَّاسَ ابنُ عونٍ علىٰ تركي فتركوني " ،

أين أنت من هٰذا ؟ يعني انقياد لأئِمَّة السُّنَّة ، ما هو انقياد تقليد أعمىٰ ؛ لا !

تحذير لهم من البدع ؛ خلاص تركوه ، فأصبح وحيداً .

فهٰكذا كان طلبة أئِمَّة السُّنَّة مع أهل السُّنَّة .

''' وقد ذكروا في مجالستهم لأهل الأهواء والبدع والتَّساهل معهم أربع

أو خمس قضايا كلها فواقر :

- الأولىٰ : تكثير سوادهم .
- والثَّانية : خداع العامَّة بجلوسنا معهم ؛ فيحسنون الظَّن بهم فيقعون في ضلالتهم !!

وإن كنت أنت تعرف ضلالته لٰكن العامِّي لا يعرف ضلالته ؛ فربَّما اجتنبتها أنت ووقع هو فيها بسبب إحسانه للظَّن بك ؛ فيجالسه فيقع في قلبه البلاء والإنحراف !!

إذن الأوَّل ماذا ؟ تكثير السَّواد ؛ والثَّانية : انخداع العامَّة بسبب هٰذا.

- الثَّالثَة : تعلُّق القَلب بهم ؛ والنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول :

« المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (5) .

• الرَّابعة : الإحساسُ أحياناً بالجميل لهم عليك أنت أيُّها المجالس ؛ وقد جاء ما تعلمون أنَّ القُلوب جُبِلت علىٰ حُبِّ مَن أحسن إليها ، وبُغض مَن أساء إليها .

• الخَامسة : نزع التَّوفيق من قلب ذٰلك المجالس لأهل الأهواء ؛ والاستفادة أيضاً من العلم ؛ فإنَّه قد جاء في هٰذا عن السَّلف آثارٌ كثيرةٌ ، مِن ذٰلك ما جاء عن بُنْدار – ليس الإمام الحافظ المشهور مُحمَّد بْن بَشَّار – وإنَّما بُنْدار بْن الحسين ، وهو أنزل طبقة من مُحمَّد بن بَشَّار ، أنه قالَ : « مَنْ جَالَسَ أَهْل الأَهْواءِ لَمْ يَفِدْهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بِمَا سَمِعَ » أبداً !

يقول بُنْدار بْن الحسين وهو أنزل درجة كما قلنا مِن مُحمَّد بْن بُشَّار بُنْدار المعروف ،

قالَ : « مَنْ جَالَسَ أَهْل الْأَهْوَاءِ لَمْ يَنْفَعْه اللهُ بِمَا سَمِعَ » . وصدق ؛

لأنَّك تُقرأ عليك الآيات ، وتُقرأ عليك الأحاديث في هجر أهل الأهواء والبدع ؛ فإذا جالستهم استفدت مِن الآيات والأحاديث وَلَّا ما استفدت ؟! ما استفدت !

لم ينفعك الله بما سمعت ، فهٰذه كم ؟ خمس نقاط .

• والسَّادسة : تَسلُّل الهوىٰ إلىٰ قلبك .

• والسَّابعة : المجادلة والمماحلة في ردِّ الحقّ .

هٰذه سبع فوائد ذكروها .

ذكر بعضها الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقِّه » .

وذكر بعضها ابن الجوزي في « الحث » .

وذكر بعضها أيضا ابن عبد البر في « جامع بيان العِلم وفضله » .

وذكر بعضها ابن بطة في « الإبانة » .

وذكر بعضها اللالكائي في « شرح أصول إعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة » .

فهٰذه قضايا خطيرة كُلُّها تأتينا مِن مجالسة أهل الأهواء والبدع ؛ واللِّين معهم والتَّساهل معهم في هٰذا الجانب ! وما جاءنا التَّساهل ولا تسلَّلَ إلينا إذا وجدنا ذٰلك في أنفسنا .

فاعلموا ! أنه لواحدٍ مِن العوامل الَّتي ذكرناها :

إمَّا للنِّسيان ، وإمَّا لِلْغفلة ، وإمَّا لِلإنشغال ، وإمَّا لِلضَّعف ؛ هٰذه أربع عوامل ، وكما قلنا أكثرها دائماً يأتينا مِن باب الضَّعف في تطبيق السُّنن ، والصَّلابة في دين الله جلَّ وعَلا .

قيل لأحمد رحمه الله : – قالَ له ابنه صالح – : « يا أبتِ ! إنَّ رجلاً من المشرق بالباب يستأذن في الدُّخول عليك ، قالَ : مَن هو ؟ قال : رجلٌ من المشرق ، قالَ : ارجع إليه فقل له : إنَّ أبي يقول : من أنت ؟ ما اسمك ؟ فرجع إليه فقالَ له : قُلْ له رجلٌ من المشرق . المرة الأولىٰ قالَ له رجلٌ يستأذن ، فرجع إليه ، قالَ : قُلْ : له ؛ رجلٌ من المشرق . فقالَ :

لعله داود بْن علي . فقالَ له : إنَّ أبي يقول : لعله فُلان فلا يدخل عليّ . إنَّه يقول بخلق القرآن ؛ فقالَ : والله ما أقول به ، ولقد كذبوا عليّ . فرجع صالح إلىٰ أبيه ، قالَ : يقول والله ما قالَ به ، ولقد كُذِب عليه ؛ قالَ : والله لقد كتب إليَّ في ذٰلك أبو زُرْعَةَ وهو أصدق عندي منه ، ورجع وأبىٰ عليه أنْ يدخل عليه » (6).

فهنا نظر فيه هٰذا صادق ، وهٰذا أصدق . عرفتم !

ولٰكن هُنا في جانب ذٰلك المعتذر ،

قد يتأول الإنسان لنفسه أنه أخطأ وزلَّ ويعتذر الآن فيحتمل في جانبه الكَذِب ؛

أمَّا النَّاقل فلا ! ليست له مصلحة في أن يكذب عليه ؛ وإنَّما هو دين الله سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ ، فَرَدَّهُ أحمد رحمه الله تعالىٰ وهو في هٰذه المكانة مِن العِلم ومِن الجلالة ،

ومِن الأخذ بالسُّنن رحمه الله تعالىٰ . فقال أحمد فيه مقالته ، فما حمله أحمد عنه أنَّه قالَ " والله كذبوا عليَّ ، وأنا ما أقول بخلق القرآن " .

الآن أيّ واحدٍ من أهل الأهواء والبدع للأسف يأتي إلينا يقول : " والله ما أقول بهٰذا " ،

يقول : صدق ؛ فلنا يمينه .

ما ينظر في النَّاقل عنه ، إن كان النَّاقل عنه ثقة ؛ فَليُعْمِل ميزان النَّظر الصَّحيح وليعلم أنَّ الذَّابَّ عن نفسه ، والمدافع عن نفسه له مصلحةٌ في الأمر ، فقد يتأول ويقع في الكذب ليذُبَّ عن نفسه ؛ أمَّا ذاك فلا مصلحة له في أن يفتري عليه . عرفتم ؟!

فلذٰلك يسهل علينا اليوم كُلُّ من جاء إلينا معتذراً ، أو مُقْسماً ، أو حالفاً ، أو نحو ذٰلك يقول : ماكنت علىٰ هٰذا ! .

خلاص صدقوه وانتهىٰ !

ويتسلل فيهم ، ويصبح مثل الجرثومة ؛

وإذا بنا بعد مُدَّة ونراه كالآكلة ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ [سبأ : 14] .

يطيح ، سوقه طاح ؛ بعد أن كان صَلباً في السُّنَّة ، شديداً فيها ، قويًّا علىٰ أهل البدع ؛ ما تراه إلَّا وقد انخذل ؛ بسبب ماذا ؟ بسبب تساهله في هٰذا الباب !!

فيا إخوتاه ! الكلام كثير ، وأكثره عندكم ، وإنَّما من باب تحصيل الحاصل هٰذا يكون استجابةً لرغبة الدَّاعي جزاهُ الله خيراً ، وله علينا حقّ الوصل ، فهو يصلنا دائماً فجزاه الله خيرا ، ولعلَّ هٰذه أوَّل مرةٍ نأتي عليه في بيته فنرجو أن تعذروه .

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ أن يرزقنا وإيَّاكم قُوَّةً في الدِّين ، وإيماناً في يقين ، ويقيناً في حسن الخلق ، وثباتاً علىٰ السُّنَّة ، وتَمسُّكاً بها ولو أنْ نلقىٰ الله بمفردنا ؛ فإنَّ ذٰلك لا يضيرنا .

وصلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ ، وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد .اهـ.

.....

(1) الصَّحيحة برقم : 2735 / (6 / 526) .

(2) صحيح سنن التِّرمذيّ " باب : مناقب عبدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه " برقم : 3805 / (3 / 551) .

(3) قالَ الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ : « أخزىٰ الله الكرابيسي ؛ لا يُجالَس ولا يُكلَّم ، ولا تُكتب عنه ، ولا تُجالس مَنْ جالَسه » . ([طبقات الحنابلة / (1 / 41)]) .

(4) الصَّحيحة برقم : 971 / (2 / 659) .

(5) قالَ الشَّيخ الألبانيّ : صحيح . صحيح سنن التِّرمذيّ برقم : 2385 / (2 / 558) .

(6) قالَ أبو زُرْعَةَ الرَّازيّ رحمه الله تعالىٰ : « ترىٰ داود هٰذا ، لو اقتصر علىٰ ما يقتصر عليه أهل العِلم لظننتُ أنَّه يكمد أهل البدع بما عنده من البيان والآلة ؛ ولٰكنَّه تعدَّىٰ ؛ لقد قدم علينا مِن نيسابور ، فكتب إليّ مُحَمَّد بْن رافع ، ومُحَمَّد بْن يحيىٰ ، وعمرو بْن زرارة ، وحسين بْن منصور ، ومشيخة نيسابور بما أحدث هناك ؛ فكتمت ذٰلك لما خفت مِن عواقبه ، ولم أُبْدِ له شيئاً مِن ذٰلك ؛ فقدم بغداد ، وكان بينه وبين صَالح بْن أحمد بْن حنبل حُسْنٌ ؛ فَكَلَّمَ صَالحاً أنْ يَتلطَّف له في الاستئذان علىٰ أبيه ؛ فأتىٰ صالح أباه ، فقالَ : رجلٌ سألني أنْ يأتيك . فقالَ ما اسمه ؟ قالَ : داود . قالَ : مِن أين هُو ؟ قالَ : من أصبهان . فكان صالح يَرُوغُ عن تعريفه ؛ فما زالَ الإمام أحمد يَفْحَصُ حتَّىٰ فَطِنَ به ، فقالَ : هٰذا قد كتب إليَّ مُحَمَّد بْن يحيىٰ في أمره أنه زعم أنَّ القُرآن محدث ؛ فلا يقربني . فقالَ : يا أبه ! إنَّه ينتفي مِن هٰذا ويُنكره . فقالَ : مُحَمَّد بن يحيىٰ أصدق منه ؛ لا تأذَن لَه » .اهـ.

([سير أعلام النُّبلاء (54 / 9) ط : دار الكتب العلمية 1425 هـ]) .

السَّبت، الموافق: 21ذي الحجة، 1431هـ.

[صوتياً]